
المادة: العقيدة والأديان
المقرر: علم الأديان
الأستاذ الدكتور يوسف الكلام


أكاديمية نماء
للعلوم الإسلامية والإنسانية



المحاضرة السابعة



المذهب الطبيعي

نشأ هذا المذهب مع صاحبيه العالم الألماني Max Müller ماكس مولر (1823-1900)، وتبناه أيضا العالم الإنجليزي Frank Byron Jevons فرانك جوفنس (1858-1936)، ويقوم أساسا على دعوى مفادها:

"أن الآلهة التي عبدها الإنسان البدائي كانت تجسيدا لقوى الطبيعة"



كيف يمكن تفسير العلاقة بين هذا التفكير الديني ومظاهر الطبيعة؟



يفسر ماكس مولر مذهبه بما لاحظه من خلال دراسته لكتاب **الفيدا**؛ بحيث وجد أن أسماء الآلهة في عمومها أسماء مشتركة ومستعملة من قبل مختلف الشعوب لدرجة يمكن أن نحدد لها أصلا واحدا، وكلها تدل على الظواهر الطبيعية الأساسية.



مثال ذلك اسم الإله Agni "أجني"

فما هو إلا تجسيد مادي للنار، بحيث نجد هذا الاسم في كثير من اللغات الهندوأوروبية: ignis في اللاتينية، وugnis في الليتوانية وogny في السلافية القديمة، ومنها اشتق في السنسكريتية اسم Dyaus, وZeus في الإغريقية و Jovis في اللاتينية، وZio في الألمانية وكلها كلمات تعبر عن الإله نفسه، فاسم Dyaus يعني الشمس التي تبرق، وهذا الأمر يدل في نظره إلى أن التدين عند البشر كانت له بداية واحدة. إن أول ما أثار انتباه البشر هي الطبيعة بظواهرها المختلفة بشمسها وقمرها ونجومها وليلها ونهارها وجبالها وأنهارها ونيران براكينها.



وقد اختلف العالم الإنجليزي فرانك جوفنس مع ماكس مولر، حيث يرى جوفنس أن الذي أثار انتباه الإنسان في الظواهر الطبيعية هي تلك الظواهر الطبيعية العنيفة لا كلها، بمعنى أن الظواهر العادية كالليل والنهار والنجوم وغيرها لم تثر انتباه الإنسان البدائي باعتبارها ظواهر عادية مألوفة لديه، بخلاف الظواهر العنيفة التي يضطرب بها النظام والسير العادي كالبراكين والبرق والعواصف الرعدية والخسوف والزلازل والطوفان هي التي أثارت الإنسان وأخافته كما كانت تخيف الحيوان ويفزع لها.



تفسير ماكس مولر عبادة الإنسان للطبيعة:

يرى مولر أن الإنسان عند مشاهدته لهذه الظواهر الطبيعية العادي منها والعنيف، أحس بالهلع والخوف منها فاعتقد ضرورة تقديسها وعبادتها اتقاء لشرها، فجسمها وجعل لها تماثيل تمثلها وصورا مشخصة حسية.



كيف انتقل تقديس الطبيعة إلى تجسيمها ؟

بيّن ماكس مولر أن هذا التجسيم حدث بواسطة اللغة.

فالإنسان أعطى لفعل الطبيعة هذا صفات بشرية؛ فالشمس تطلع، والنهر يجري، والبركان يثور، والنار تشهق، كما رأى ماكس مولر أن الإنسان بعدما أعطى لهذه الظواهر هذه الكلمات، اختلطت هذه الظواهر الطبيعية بالأفعال الإنسانية حتى اعتبرت بعد ذلك في صورة كائنات مشخصة تقترب كثيرا أو قليلا من الإنسان، كان الأمر مجازيا أولا، ثم التبس على الناس بعد ذلك. وبتشخيص هذه الظواهر حولها الإنسان إلى شخصيات حية عاقلة واعتبرها أرواحا وآلهة فتوجه إليها بالعبادة.



ما يمكن أن يعترض به على المذهب الطبيعي:

1- الظواهر الطبيعية مستمرة في الكون على نسق واحد وهذا يجعلها مألوفة لدى البشر.

2- الإنسان لم يعبد هذه الظواهر خوفا منها، بدليل أن بعض البشر عبدوا الحجر والشجر والحشرات.

3- مسألة الخوف لا تولد شعورا بالتدين بقدر ما تولد شعورا باليأس ولمقاومة الخوف لابد من وجود الأمل.



المذهب الاجتماعي
الطوطمية

يُعتبر عالم الاجتماع إيميل دوركايم (1858-1917) صاحبَ هذا المذهب،

انتقد إيميل دوركايم المذاهب السابقة ورفض فكرة التدين عندها، والتي تقوم على أن التدين حالة نفسية فردية. ويرى دوركايم أن التدين وليد أسباب اجتماعية.



Émile Durkheim (1858-1917), Les formes élémentaires de la vie religieuse



انتقد إيميل دوركايم المذاهب السابقة ورفض فكرة التدين عندها، والتي تقوم على أن التدين حالة نفسية فردية. وخلافا لذلك يرى دوركايم أن التدين وليد أسباب اجتماعية.



يقوم مذهب دوركايم على فكرة أساسية مفادها:

أن خير وسيلة لتفسير ظاهرة معقدة كالظاهرة الدينية أن تدرس في بداية نشأتها قبل أن تخالطها عناصر غريبة عنها، وأن خير بيئة لدراسة نشأة التدين عند البشر هي المجتمعات البدائية القائمة على نظام القبيلة والعشيرة.



لاحظ دوركايم أن العشائر قوامها وحدة اللقب المشترك بين جميع أفرادها، وهو لقب مشتق من اسم حيوان أو نبات أو جماد أو كوكب، وتعتقد العشيرة أن لها بمسمى هذا الاسم صلة قديمة حيوية أو روحية، إما أنها تنحدر منه أو أنه كان حليفا لسلفها، لذلك تعظمه وتحدث له رسوما تضعها على أجساد أفرادها أو على أبواب بيوتها ومساكنها.



هذا اللقب الأسري أو النظام العائلي هو ما يسمى بالطوطم: وهي كلمة مأخوذة من لغة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية

أشير إليها لأول مرة في كتاب Long الهندي سنة 1791م، والطوطم علامة تدل على العشيرة أو موطنها.

واعتبر نظاما أمريكيا بحتا، ليتبين أنه نظام عرف لدى الشعوب القديمة المصرية والأسترالية والإثيوبية والعربية والرومانية وغيرها



لتفادي التشعب، أفرد دوركايم الشعوب الأسترالية البدائية بالدراسة، لتشابه قواعد التنظيم الاجتماعي فيها ولوحدة اللغة بينها، ولكونها تمثل أكثر الإنسان البدائي، بخلاف مجتمعات الهنود الحمر التي يرى دوركايم أنها تطورت وتأثرت بالحضارة.



يرى دوركايم أن القبائل الأسترالية تخضع لنظام العشائر، ويرتبط أفراد هذه العشائر برباط القرابة، ولكنها ليست رابطة دم ومصاهرة فقط بل رابطة الانتماء إلى اسم واحد يحملونه جميعا. هذا الاسم هو الطوطم.



أما أنواع الطوطم فمختلفة تتصل في معظمها بأنواع نباتية أو حيوانية، أما أنواع الطوطم الأخرى خاصة الكونية منها فيرى دوركايم أنها تمثل شذوذا وتعتبر تطورات لاحقة، وقد تنقسم القبائل ذات الطوطم الواحد إلى عشائر تحمل كل شعيرة جزءا من هذا الطوطم طوطما لها، كانقسام طوطم الكنغر إلى طوطم رجله أو معدته أو عينه وهكذا..


أكاديمية نماء
للعلوم الإسلامية والإنسانية